وكم من هذه الاعمال ما تأيد بالعجائب المثبتة للدين المسيحي. اذهب الى لورد وانظر ما يجري كلّ يوم من المعجزات التي اقرّ بصحتها اكثر من ٤٠٠ طبيب من كلّ الطوائف والملل والنزعات فحصوها فحصاً مدققاً

وكم من الاعمال غير هذه لا يسعني ذكرها لضيق المقام وان شئت أضف اليها ما صنعتهُ النصرانيَّة في سبيل الآداب والفنون الجميلة فانّ كنائسها اجمل كل هياكل الدنيا. نقوشها وتماثيلها وصورها تُعدّ من ألطف وابدع ما رسمتهُ ايدي البشر. انسجتها وحليها وآنيتها الدينيَّة تفتن كلّ الابصار. ادخل احد متاحف اوربا كالواتيكان او لندن او باريس لا تتمالك من تعظيم الديانة التي انتجت كل تلك المصنوعات فتقرّ شئتَ ام ابيت ان الدين المسيحيّ دين الهيّ صارخاً « ان اصبع الله لها هنا » ومتأكّداً قول الرب في انجيله (يوحنّا ١٧ : ٣) : « هذه هي الحياة الابديَّة ان يعرفوك انت الاله الحقيقيّ وحدك والذي ارسلتهُ يسوع المسيح » فالبركة والمجد والحكمة والشكر والكرامة والقوَّة لالهنا الى دهر الداهرين امين

النصرانية وآدابها
بين
عرب الجاهلية

للاب لويس شيخو اليسوعي
النصرانيَّة في الحجاز ونجد (تابع)

﴿ مكَّة ﴾ كما عُرفت النصرانيَّة في يثرب في عهد الجاهليَّة كذلك نالت مكَّة نصيباً من ذلك الدين. وها نحن ننقل ما رواهُ قدماء الكتبة اثباتاً لهذا الرأي

قدَّمنا في اوَّل هذا الفصل ما اثبتهُ المؤرخون اليونان والسريان والعرب عن الدعوة النصرانيَّة في الحجاز اجمالاً. ومكَّة في الحجاز بل حاضرة الحجاز فبديهي ان

يقال انَّ الدين المسيحي دخل ايضاً مكَّة كسواها من الجهات الحجازية. وان قيل انَّ مكَّة واقعة في اقاصي الحجاز اجبنا انَّ كلام الكتبة يشمل كل جهات العرب حتى اقصاها . قال تاودوريطوس المؤرخ الكنسي في القرن الخامس للمسيح عن القيصر قالنس (١ انَّهُ لمَّا اضطهد الكاثوليك فرَّقهم في كل البلاد حتى نفى منهم كثيرين في اقاصي تخوم العرب (per ultimos fines Arabiæ)

واقدم ما رواهُ كتبة العرب صريحاً عن النصرانيَّة في مكة ما ورد في اثناء تاريخ جرهم الثانية قالوا انَّ جرهم استولوا بعد بني اسماعيل على الحجاز وصارت اليهم سدانة بيت الحرم في مكة ومفاتيح الكعبة. اما زمن دولة بني جرهم فلم يتفق الكتبة في تعريفه والعلماء الاوربيون مجمعون على انَّ جرهم الثانية قامت قبل تاريخ الميلاد بقليل. ومن عجيب ما رواه مؤرخو العرب كابن الاثير وابن خلدون وابي الفداء (٢ وغيرهم انَّ سادس ملوك جرهم يُدعى باسم نصراني وهو عبد المسيح بن باقية بن جرهم . فمنهُ يتعيَّن انَّ النصرانيَّة دخلت مكة قبل بني الازد وتغلُّب بني خزاعة اعني بعد موت السيد المسيح بزمن قليل. وهذا يوافق نصوص الكتبة المرويَّة سابقاً عن تبشير رسل المسيح في الحجاز

وفي كتاب الاغاني لابي الفرج الاصفهاني (١٣ : ١٠٩) انَّ بيت الحرام كان لهُ في عهد بني جرهم « خزانة وهي بئر في بطنهِ يُلقى فيهِ الحلى والمتاع الذي يُهدى لهُ يومئذ لاسقف عليهِ » . فقولهُ « اسقف » يريد بهِ حبر النصارى المعروف. وهو اثبات لما روى مؤرخو العرب عن نصرانيَّة الملك الجرهمي عبد المسيح بن باقية

ولنا في كتب العرب دليل اعظم يثبت انتشار النصرانيَّة في مكة قبل الاسلام وذلك في اقدم تواريخ مكة الذي عنوانهُ « كتاب اخبار مكة شرَّفها الله تعالى وما جاء فيها من الآثار تأليف ابن الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقي » المطبوع في

---

١) راجع تاريخهُ في اعمال آباء اليونان (Théodoret, H. E. l. IV, c. 15 ; Migne P. G., t. 82 col. 1158)

٢) اطلب تاريخ عرب الجاهليَّة لكوسان دي برسفال (C. de Perceval : *Essai sur l'Hist. des Arabes avant l'Islamisme* I, 199)

ليبسيك (ed Wüstenfeld. 110 — 112) انهُ كانت في دعائم الكعبة « صور الانبياء وصور الشجر وصور الملائكة وصورة ابراهيم خليل الرحمان وصورة عيسى ابن مريم » ثمَّ قال ما حرفهُ (ص ١١١):

« فلمَّا كان يوم فتح مكَّة دخل رسول الله صلعم البيت فارسل الفضل بن العبَّاس ابن عبد المطلب فجاء بماء زمزم ثمَّ امر بثوب فبُلَّ بالماء وامر بطمس تلك الصور فطُمست. قال ووضع كفَّيه على صورة عيسى بن مريم وامّهِ عليهما السلام وقال: امحوا جميع الصور الا ما تحت يديَّ فرفع يديه عن عيسى بن مريم وامّهِ... وحدَّثني جدّي قال حدَّثنا داود بن عبد الرحمان عن ابن جريج قال: سأل سليمان بن موسى الشامي عطاء بن ابي رباح وانا اسمع: أدركتَ في البيت تمثال مريم وعيسى؟ قال: نعم ادركتُ فيها (كذا) تمثال (ص ١١٢) مريم مزوَّقًا في حجرها عيسى ابنها قاعدًا مزوَّقًا. وكانت في البيت اعمدة ستّ سواري وصفها كما نُقطت في هذا التربيع

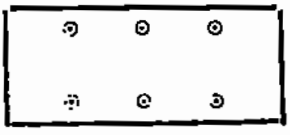

قال وكان تمثال عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام في العمود الذي يلي الباب: قال ابن جريج فقلت لعطاء: متى هلك؟ قال: في الحريق في عصر ابن الزُّبير... قال ابن جريج: ثمَّ عاودتُ عطاء بعد حين فخطَّ لي ستَّ سواري كما خططتُ ثمَّ قال: تمثال عيسى وامّهِ عليهما السلام في الوسطى من اللاتي تلين الباب الذي يلينا اذا دخلنا... (ص ١١٣). اخبرني محمَّد ابن يحيى عن الثقة عندهُ عن ابن اسحاق عن حكيم بن عبَّاد بن حنيف وغيره من اهل العلم انَّ قريشًا كانت قد جعلت في الكعبة صورًا فيها عيسى بن مريم ومريم عليهما السلام. قال ابن شهاب قالت اسماء بنت شقر. ان امرأة من غسَّان حجَّت في حاجّ العرب فلمَّا رأت صورة مريم في الكعبة قالت: بابى انتِ وابي إنَّك لعربية. فامر رسول الله صلعم ان يمحوا تلك الصور الَّا ما كان من صورة عيسى ومريم »

وما رواهُ هنا الازرقي ذكرهُ كتبة آخرون كالهروي والبيهقي وابن العربي. وفيه شاهد جليل على تنصُّر قسم من قريش في مكة. ويؤيد ذلك احمد بن واضح المعروف باليعقوبي في تاريخه (طبعة ليدن ١ : ٢٩٨) حيث قال « : امَّا من تنصَّر من احياء العرب فقوم من قُرَيش من بني اسد بن عبد العزَّى منهم عثمان بن الحويرث بن اسد وورقة بن نوفل بن اسد »

ولذلك ترى الشعراء النصارى في الجاهليَّة لم يأنفوا اذا حلفوا ان يجمعوا بين الصليب والكعبة قال عديّ بن زيد (الاغاني ٢ : ٢٤):

سمى الاعداء لا يألون شرا عليك وربّ مكّة والصليب

وقال الاعشى:

حلفتُ بربّي راهب الدير والتي بناها قُسَيّ والمخاضُ بن جُرهم

ولعلّ ذلك ايضاً ما حمل نصارى العرب الى ان يعظّموا الكعبة في الجاهليّة لما كانوا يرون فيها من الآثار النصرانيّة فضلاً عن ذكر ابراهيم الخليل الذي كان يُكرَم هناك مع ابنه اسماعيل حيث جعل التقليد العربيّ ظهور ملاك الربّ لامّه هاجر (تكوين ٢١: ١٧) في هذا المكان. قال ياقوت في معجم البلدان (٤: ٦٢٢) "وليست امّة في الارض ألّا وهم يعظّمون البيت... وانهُ من بناء ابراهيم حتى اليهود والنصارى"

وممّا يدلُّ على آثار النصرانيّة في مكة او قربها المكان المعروف بوقف النصراني ذكرهُ في تاج العروس. وكذلك مقبرة النصارى. قال الازرقي في اخبار مكة (ص ٥٠١): "مقبرة النصارى دُبر المقلع على طريق بئر عتيبة بذي طوى" والمقلع "الجبل الذي باسفل مكة على يمين الخارج الى المدينة". ونظنّ انّ "مسجد مريم" الذي ذكرهُ المقدسي في جغرافيّته (ص ٧٧) بجوار مكة دعي باسم مريم العذراء لأثر ديني كان هناك في عهد الجاهليّة

وممّا يثبت نفوذ النصرانيّة في مكة على عهد الجاهليّة بيضة الحنيفيّة هناك فانّ العلماء الذين درسوا تعاليم تلك الشيعة وما بقي من اخبار اصحابها في تواريخ العرب كسپرنغر (Sprenger) (١ وولهوزن (Wellhausen) (٢ وكوسان دي پرسڤال (C. de Perceval) (٣ وغيرهم فكانت نتيجة ابحاثهم انّ الحنيفيّة في الجاهليّة كانت شيعة نصرانيّة خالطتها بعض تعاليم من غيرها وربما اراد بها شعراء الجاهليّة والكتبة القدماء النصرانيّة بعينها. قال شاعر هذيل (Hudheil 18 : 11):

كأنّ تواليهُ بالملا نصارى يسافون لاقوا حنيفا

اراد بالحنيف الراهب يذهب النصارى الاقاته. وروى صاحب الاغاني (ك ١٦

---

١) اطلب كتاب (Sprenger: *Das Leben u. d. Lehre des Mohammad*)

٢) اطلب (Wellhausen: *Skizze u. Vorarbeiten*, III, 87 *seq.*)

٣) كتابهُ (*Essai sur l'Hist. des Arabes* I, 321)

ص ١٥) وياقوت في معجم البلدان (٢ : ٥١) لأيمن بن خريم قولهُ في وصف الخمرة :

وصَهباء جرجانيّةٍ لم يَطُفْ بها حنيفٌ ولم تَنفر (١ بها ساعةً قِدْرُ
ولم يشهد القسُّ المُهَيْمن نارَها طروقًا ولا صلّى (٢ على طَيْخها حَبْرُ

اراد بالخمر قربان النصارى والحنيف هنا بلاشكّ الراهب بدليل ذكرهِ في البيت الثاني القسّ والحَبْر . ولعلّ ابا ذؤيب قصد ايضاً الراهب حيث قال مشيرًا الى اصوام الرهبان (تاج العروس ٣ : ٣٣٩) :

اقامت بهِ كصيام الحنيف م شهرَي جمادى وشهرَي صَفَرْ

ويؤيد رأي هؤلاء الكتبة في نصرانيّة الحنفاء انّ معظم الذين ورد ذكرهم في التاريخ يقال عنهم انهم تنصّروا . واشهرهم ورقة بن نوفل بن اسد بن عبد العزّى وكان ابن عم خديجة زوجة رسول الاسلام الاولى وقيل بل كان عمّها اخا ابيها قال ابن هشام في سيرة الرسول (ed. Wüstenfeld, p. ١٥٣) : « وكان ورقة قد تنصر وقرأ الكتب وسمع من اهل التوراة والانجيل (٣ » . وقال الاسحاقي في تاريخهِ الاكبر (٤ : « كان ورقة امرءا قد تنصّر في الجاهليّة وكان يكتب الكتاب العربيّ فكتب بالعربيّة من الانجيل ما شاء لن يكتب »

ومنهم عبيد الله بن جَحش بن رئاب . قال ابن هشام (ص ١٤٣ — ١٤٤) : « هاجر عبيد الله مع المسلمين الى الحبشة ومعهُ امرأتهُ امّ حبيبة ابنة ابي سفيان مسلمةً فلمّا قدمها تنصّر وفارق الاسلام حتى هلك هنالك نصرانيًا . قال ابن اسحاق : فحدّثني محمّد بن جعفر بن الزبير قال : كان عبيد الله بن جحش حين تنصّر يمرُّ باصحاب رسول الله صلعم وهم هنالك في ارض الحبشة فيقول : فتّحنا وفتّحتم اي أبصرنا وانتم تلتمسون البصر ولم تُبصروا بعد »

ومنهم عثمان بن الحويرث الذي ذكر نصرانيّتهُ اليعقوبيّ . روى ابن هشام

---

١) روى ياقوت : ولم ينفر
٢) في ياقوت : ولم يحضر (يحضر ؟)
٣) اطلب كتابنا شعراء النصرانيّة (ص ٦١٦)
٤) في نسخة مكتبة باريس (Mss. arab. de Paris. n° 735 fl. 88)

(ص ١٤٤) عن ابن اسحاق قولهُ (١ : « واما عثمان بن الحويرث فتقدم على قيصر وتنصَّر وحسُنت منزلتهُ عندهُ » . كانت وفاتهُ في الشام

ومنهم زيد بن عمرو بن نُفيل الذي ذكر ابن هشام (ص ١٤٨) وصاحب الاغاني تردُّدهُ في دينهِ واجتماعه باحبار النصارى ورهبانهم بعد اعتزالهِ الاوثان

ومنهم اميَّة بن ابي الصلت الذي ترى ديوانهُ مشحونا بتعاليم النصارى مع منقولات متعددة عن الاسفار المقدَّسة كسفر الخليقة وخلقة آدم وسقوط الابوين الاولين باغراء الحيَّة والطوفان وذكر الانبياء والملائكة والسيد المسيح ومريم العذراء (٢

وكان في مكة من النصارى غير هؤلاء الحنفاء منهم ابو قيس صرمة بن ابي انس الذي روى عنهُ ابن الاثير في اسد الغابة (٣ : ١٨) انه « كان ترهَّب في الجاهليَّة ولبس المسوح »

ومنهم زيد بن حارثة مولى رسول المسلمين كان نصرانيا ثمَّ اسلم

وكذلك ذكر صاحب الاغاني (١٥ : ٢) نصرانيَّة عتبة بن ابي لهب صهر نبيّ الاسلام

وكان ابو سفيان زعيم مكَّة صهراً لبشر اخي أكيدر صاحب دومة الجندل وكان كلاهما نصرانيا وبشر هو الذي علَّم اهل مكَّة الخطّ العربيّ

ومما يفيد تاريخ النصرانيَّة في مكة ذكر المعاملات التجاريَّة التي كانت متواصلة بين اهلها ونصارى قبائل العرب الواردين اليها ونصارى الحبشة وغيرهم فانَّ اختلاط اولئك النصارى باهل مكة اثَّر فيهم تأثيراً عظيماً واجتذب كثيرين منهم الى الدين المسيحي (لهُ بقيَّة)

---

١) اطلب مقالتنا المنونة الاحداث الكتابية في شعراء الجاهليَّة (ص ٢٠ – ٢١)

٢) اطلب مقالاتنا « الاحداث الكتابية والتشابيه النصرانية في شعراء الجاهليَّة » (ص ٢٠–٢١)